077 cappppptown6 5/27/03 4:11 PM Page 1

كيب تاون: مهد الإسلام في جنوب أفريقيا

ضريح الشيخ يوسف، أمير جاوة

Shrine of Shaykh Yusuf, a Prince of Java.

قد لا تكون "جنوب أفريقيا" المقصد الأول الذي يخطر ببال الإنسان عندما يفكر بالسياحة الإسلامية. ورغم ذلك، يعود تاريخ الإسلام في تلك البلاد إلى أقدم مستوطنة أوروبية . زوّار اليوم يمكن أن يتوقّعوا ترحيباً حاراً من أقدم أقلية إسلامية في جنوب أفريقيا. وهذه الجالية عانت من العزلة الدينية على مدى ثلاثمائة سنة، وعانت كذلك من التمييز العرقي والاستغلال الاقتصادي. وفي عصر ما بعد التفرقة العنصرية الذي بدأ عندما واصل نيلسن مانديلا رحلته الملحمية من سجين إلى رئيس للدولة، فإن هؤلاء الناس المرنين (أي المسلمين) يلعبون دوراً هاماً في تشكيل جنوب أفريقيا الحديثة.

وتقدر الإحصاءات الرسمية عدد المسلمين بحوالي مليون شخص من مجموع 40 مليون، أي 2,5٪. لكن الإحصائيات يمكن أن تكون مضلّلة، لأن الأفارقة الجنوبيين المسلمين بارزون جداً في الحياة المهنية، في العمل الأهلي والحكومي، ولهم قوة تزيد بكثير على حجمهم.

وتستطيع أن تعذر الزوّار إذا ما فكروا بأنّ كيب تاون مدينة إسلامية، قبل الفجر، يبدأ اليوم بالصوت السحري للأذان المنطلق من المنائر المتعددة التي تتموج فوق السقوف ويتردّد صداها عبر التلال والجبال التي تشكّل مدرج مسرح طبيعي. هناك عشرة مساجد في مركز المدينة. والألوان الزاهية للربع الملاوي التاريخي تميز البيوت التي تعود للقرن الثامن عشر، وهي الجزء الأقدم للمدينة. وعلى مدار اليوم، هناك حضور محسوس للوجود الإسلامي البارز من خلال النساء اللواتي يلبسن الحجاب والرجال اللذين يلبسون الكوفيات.

لكن التأثير الإسلامي الواسع الإنتشار هو أكثر من مظاهر سطحية مجرّدة. فالمسلمون يحتلون مواقع رئيسية في كلّ المهن، في التجارة والحكومة. والمسلمون يحتلون وزارات العدل والتعليم، والنقل وشؤون الماء والسياحة. هل تشعر بالجوع؟ لا حاجة للقلق بشأن الطعام الحلال. فكل المطاعم تشتري لحمها من مجهّزي اللحم الحلال. رغم ذلك فإن من الحكمة السؤال قبل الأكل!

للبحث عن أصول جنوب أفريقيا الإسلامية، نتجه شرقاً فعلى كثبان الرمل التي تسفها الريح في "فاور"، وحوالي 30 دقيقة من مركز المدينة، يقف الضريح المهيب ذو القبة الخضراء والأسوار البيضاء، ضريح الشيخ يوسف أمير جاوة. وهو معروفٌ من قبل أتباعه المخلصين بـ"التاج الخلواتي المقصاري". والشيخ ليس فقط محترمٌ لكونه عالما إسلامياً وإماماً للطريقة الصوفية النقشبندية لكنّه كان أيضا قائداً سياسياً ملهماً قاوم بعنف الهجمات الاستعمارية الهولندية في جزر الهند الشرقية. وكان بمثابة نيلسن مانديلا القرن السابع عشر في أندونيسيا. شيخ يوسف كانت له شعبيةٌ واسعة جداً بين قومه، فعندما سجنه الهولنديون في موطنه جاوة، حصل اضطراب وتمرّد مدني واسع الانتشار، مما اضطر الهولنديين نقله إلى سيلان (سريلانكا اليوم) التي اشتكى حاكمها بعد ذلك مباشرةً بأنّه لا يستطيع أن يضمن بقاءه في السجن الملكي. وخطّطت عملية إنقاذ له من قبل ملك جاوة. وكحل أخير، نفي الشّيخ يوسف إلى جنوب أفريقيا، حيث كانت كيب تاون في ذلك الوقت مستوطنة صغيرة تزوّد السفن بالماء العذب والغذاء أثناء رحلتهم البحرية التي تمتد على ستة شهور بين هولندا والجزر الأندونوسية.

جزيرة روبين هي اليوم إحدى مصادر جذب السواح الرئيسية في كيب تاون. وهذا بسبب أن نيلسن مانديلا قضّى فيها تسعة عشر سنةً من مدة محكوميته التي بلغت سبعة وعشرين عاماً في السجن. والزوّار يقومون بجولة في الجزيرة بصحبة دليل، ويتمكنون من رؤية الزنزانة التي حُبس فيها مانديلا. وقد كان بيل كلنتون وياسر وعرفات وفيديل كاسترو ثلاثة من بين العديد من زعماء العالم الذين أخذوا صوراً ←

077 cappppptown6 5/27/03 4:12 PM Page 2

في السنوات الأخيرة، أصبحت كيب تاون الوجهة السياحية الأكثر طلباً في العالم. فالجبال الوعرة التي تشكل الخلفية لمزارع العنب الكثيفة وشواطئ الرمل البيضاء المغسولة بالبحار اللازوردية. هنا حيث يجتمع المحيطان الأطلسي والهندي، توجد أغنى مناطق صيد السمك في العالم.

Flowers of South Africa.
زهور جنوب أفريقيا.

Vine Yard in Cape Town
مزارع العنب في كيب تاون

فوتوغرافية وراء قضبانها. وعلى بعد 200 متر فقط من باب السجن ستجد ضريح شيخ مادورا. السجين السياسي المسلم الأول على جزيرة روبين، الذي سبق مانديلا بحوالي 300 سنة. في الحقيقة، أن مانديلا مدح المنفيين المسلمين الأوائل بحرارة حيث أن ذاكراهم، كما قال، قوّت روحه المعنوية أثناء تلك المدة الطويلة، وسنوات سجنه الإنفرادي. وأحد أقرب رفاق مانديلا كان أحمد كاثرادا، الذي نقشت كلماته على لوحة شاهقة في مدخل متحف جزيرة روبين:

"بينما نحن لن ننسى وحشية التفرقة العنصرية، فإننا لا نريد لجزيرة روبين أن تكون نصبا تذكارياً لعذابنا ومعاناتنا. نحن نريد جزيرة روبين لكي تكون نصبا . . . يعكس انتصار الروح الإنسانية ضدّ قوى الشرّ. نصرا لمقاومة التمييز العنصري على التعصب والعدوان. نصرا لجنوب أفريقيا الجديدة على القديمة.

"أحمد كاثر ادا 1993 "

في السنوات الأخيرة، أصبحت كيب تاون الوجهة السياحية الأكثر طلباً في العالم. فالجبال الوعرة التي تشكل الخلفية لمزارع العنب الكثيفة وشواطئ الرمل البيضاء المغسولة بالبحار اللازوردية. هنا حيث يجتمع المحيطان الأطلسي والهندي، توجد أغنى مناطق صيد السمك في العالم. وقد مدّدت المياه الاقليمية من 12 إلى 200 ميل حالياً. ومراقبة الحوت هنا هواية شعبية. والسمك الذي يصطاده الهواة مثل المارلن وسمك التونا يجذب صيادين أغنياء من الخارج. وسباق اليختات من الكيب إلى ريو. وسباق اليختات حول العالم والسباقات البحرية الأخرى هي جزء من التقويم السنوي لرياضة اليختات في كيب تاون.

وبالنسبة لعلماء النباتات والبستانيين فإن شبه جزيرة كيب له تنوع مدهش. جبل التيبل (المنضدة) وكريستن بوش المماثلة لحدائق كيو اللندنية عندها أكثر من 95٪ من كلّ الأنواع النبات الموجودة في أفريقيا.

وهناك الكثير أيضا مما يثير إهتمام السائح الثقافي. من بيوت القرن التاسع عشر بألوان زاهية في الربع الملاوي إلى الحياة البهيجة والحيوية للمدن الفقيرة. إلى الدفء التلقائي وودّية كلّ الأفارقة الجنوبيين. سود وبيض. بضع مدن في أي مكان في العالم يمكن لها أن تعرض مثل هذه التنوع في الثقافات. حيث أنّ الأقلية الإسلامية (في مناطق أخرى) لا "تقبل" ببساطة وإنما تعامل كضيوف غير مرغوب فيهم. في كيب تاون، كما في أي مكان آخر في تلك البلاد، فإن الإسلام عنصر مكمّل لتأريخ جنوب أفريقيا. والمسلمون عندهم إحساس بالأمن والإنتماء تتمناها تلك الأقلّيات الأخرى في أوروبا وأمريكا الشمالية.

وقد أصبح مسلمو جنوب أفريقيا جنوبيون مثالا يحتذى من قبل الأقلّيات الدينية في كل مكان. لا عجب إن كان هناك تدفق متزايد من الأفكار والموهبة إلى الجاليات الأخرى في الخارج.

زيارة كيب تاون ستكافئ السائح الإسلامي بلمحة ساحرة للأصول ونمو وإزدهار الإسلام في جنوب أفريقيا خلال مدة 300 سنة من التأريخ الإستعماري الأوروبي. وبالإضافة إلى ذلك، هناك مناخ البحر الأبيض المتوسط الدافئ والسماء الزرقاء المشمسة التي يمكن ضمانها عمليا من أكتوبر/تشرين الأول إلى ←

077 cappppptown6 5/27/03 4:12 PM Page 4

مسجد شارع موير في المنطقة السادسة، جبل التيبل الرائع في الخلفية.
Muir Street Mosque in District Six. Magnificent Table Mountain in background.

مسجد بورهانول إسلام في الربع الملاوي
Boorhaanol Islam Mosque, Malay Quarter

مايو/مايس. والسحر الأصيل وكرم ناسه الذين سيجعلون زيارتك زيارة متميزة.

الحاجة المتزايدة للفنادق "الحلال" تجربة كيب تاون

بينما تعد الفنادق التي تهتمّ بحاجات الضيوف المسلمين شائعة في السعودية وإيران وأجزاء أخرى من (العالم الإسلامي)، فهي ما زالت غير مألوفة في أكثر البلدان الغربية. وبالنسبة لجنوب أفريقيا فإن الحضور الإسلامي فيها مضى عليه أكثر من 300 سنة، بينما لم يمض على قطاع الفنادق الحلال ثلاث سنوات.

وتبدو هناك سوق واسعة غير مستغلّة لفنادق الحلال التي تقوم بتقديم الطعام الحلال وأماكن للصلاة والمتطلبات الدينية الأخرى. وغالباً ما يفرض على السيّاح المسلمين أن يتحمّلوا الإحراج والمضايقة بسبب البقاء في الفنادق التي تقدم الكحول والطعام غير الحلال، وهو ما يحصل حتى في بعض البلدان الإسلامية!

وجد فندق سغنل هل في السنة الأولى من العمل، أن السيّاح الأوروبيين مهتمون بشدّة بتاريخ وثقافة الإسلام. وزوّار كيب تاون مسحورون بالربع الملاوي التاريخي، والدور الذي لعبه المسلمون في تاريخ جنوب أفريقيا. الكثير منهم أشاروا بأنّهم يرون الفندق كنافذة صغيرة من الثقافة الإسلامية. لا أحد منهم يبدو منزعجاً من سياسة الفندق التي تنص بعدم تقديم الكحول.

يعتقد مالكو الفندق بأنّ الأعمال التجارية الإسلامية يجب أن تظهر هويتها الإسلامية بثقة تامة. وأمام الفنادق الإسلامية فرصة عظيمة لعرض أفضل تقاليد الضيافة الإسلامية، بدون شعور بالحاجة لتقليد الثقافات الأخرى في الطرق التي تساوم على هويتنا الإسلامية. وهذا هو الطريق إلى تنبيه العالم إلى أننا نحن أيضا لنا ثقافة وحضارة ذات خصوصية وتقاليد ثابتة تستحقّ الإحترام. والأكثر من ذلك، فإنه هو الطريق إلى تنبيه اخواننا المسلمين بأن لا أحد سيحترمنا إذا لم نحترم أنفسنا. فلنتعلّم احترام أنفسنا أولا، قبل أن نتمكن من كسب احترام الآخرين.

رجل عجوز أمام مسجد بورهانول إسلام في الربع الملاوي
Old man in front of Boorhaanol Islam Mosque, Malay Quarter

قصّة فندق سغنل هل

عندما هاجرا من جنوب أفريقيا مع أبنائهم في 1978 لم ينس مريم وأرشد جذورهما هناك، وبشكل خاص، ناس كيب تاون الطيبين. فقد كان لهم مكان خاصّ في قلبيهما. وعندما كان أرشد طالب فنّ شاب، حصل على مساعدة مالية من المنظمات الخيرية المحلّية. هذه المساعدة أعطيت بسخاء، واستلمت بامتنان. وقرر مريم وأرشد بأنّ يردا الفضل. وفندق سغنل هل ومؤسسة أمانة التربوية، هما وسيلة مريم وأرشد لقول "شكرا لكم" يا أهل كيب تاون، الذين تذكّرتموهما في وقت الحاجة.

مؤسسة أمانة التربوية بدأت في المملكة المتحدة كمؤسسة خيرية مسجّلة، هدفها دعم المنظمات التي تقدم المنح المالية والبعثات في المملكة المتحدة وجنوب أفريقيا. وهي تدير مشاريع تربوية وأيضا تنشر الكتب وأجهزة الإعلام السمعية البصرية للأطفال. ■